

"في التسليم للعترة الطاهرة"

الانسجام النصي وعلاقته

في النصوص الحسينية في (واقعة الطف)

**Textual Harmony and Its Nexus with Husseinist Texts
in Al-Taff Battle ((Theory and Application))**

أ. د. سلافة صائب خضير

Prof. Dr. Salafa Saib Khudheir

العراق / جامعة بغداد / كلية التربية للعلوم الانسانية - ابن رشد /

قسم اللغة العربية

**Iraq/ University of Baghdad/ College of Education for
Humanist Sciences -Ibn Rushid/ Dept of Arabic**

Sulafa.saad@ircoedu.uobaghadad.edu

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي

Turnitin - passed research

الملخص:

امتلك النص الحسيني مقومات كثيرة حققت فيه شروطا مهمة وضعها دارسو الأدب، بل تجاوزها الى أمور أحرّ تكمل اتصافه بالأدبية؛ لذا استحق دراسة لسانية تسبر أغواره وتكشف عن مضامينه الخفية، ومقاربة النصوص الأدبية مقارنة لسانية تتجاوز مستوى المفردة وصولا الى النص، الذي يعد بنية دلالية كبرى، ويؤدي وظائف متعددة؛ لأنها قابلة للتحليل مع الاهتمام بالجانبين الدلالي والتداولي فيها. وما يعنى به الباحث في لسانيات النص هو النص وترابطه وتماسك أجزائه، ثم وسائل اللغة التي تجعله وحدة قائمة بذاتها تترابط فيما بينها، وينتج المنهج اللساني النصي من خلال تزواج الدراسات الأدبية النقدية مع اللسانيات الحديثة؛ لذا أفدت منه في دراسة خطب الإمام الحسين عليه السلام ورسائله، واطاعة اليد على مواضع فصاحتها، وأحوال بلاغتها، والكيفية التي تحقق الترابط والتماسك بين الأجزاء المكونة لذلك النص المتمثل بالخطب والرسائل، وهي نصوص جليلة فصيحة فيها كثير من الشراء اللغوي وتشكل مجالا خصبا يمكن الباحث من أن يرصد مقولات لسانيات النص واجراءاتها. واخترت خطب واقعة الطف لفصاحتها العالية، وثرائها اللغوي الذي شكل مجالا خصبا تجسدت فيه المقالات اللسانية من الاتساق والانسجام، وهي وسيلة مهمة من وسائل الاقناع تثبت بالأدلة والبراهين، تنوعت الفنون الأدبية والقولية في النصوص الحسينية في واقعة الطف وما حظي بالدراسة هما الخطابة والرسائل، والحوار. ومثلت الخطبة بنية موحدة متماسكة الأجزاء، وهذا التماسك يؤدي الى ادراك حقيقة النسيج النصي الذي تتألف منه تلك الخطب، تنماز بالوحدة الوثيقة التي تربط بين أجزائها ومعاني تراكيبها في موضوع واحد هو احقاق الحق. وظهرت بسبب الانسجام العلاقات الكبرى التي اختزلت المعلومات التي أراد يمررها

المتكلم الى المتلقي في خطابه، موجدا في بنية النص الكبرى إشارات الى خلفيات شاملة، منها المقامية، ومنها النصية، من خلال آليات الربط بين أجزاء النص الواحد، أو تفعيل بنية النص الكبرى، انتاج مفهوم جديد منبثق من النص القديم. وظهر مفهوم البنية الشاملة واضحا من خلال الربط بين العلاقات في النصوص الحسينية وأصولها المقامية التي حدثت فيها، ومما سهل هذه المهمة معرفة الخلفية التاريخية لكل نص.

Abstract

The Hussein text possesses many essentials that set important in literature, so it deserves a linguistic study to explore and reveal its hidden contents. The literary texts adopt a linguistic approach that exceeds the level of the word to reach the text, which is a major semantic structure to perform multiple functions.

What the researcher means in the linguistics of the text is its interdependence, the consistency of its parts and the means of its language that makes it a self-standing unit to commingle with each other. The textual linguistic approach is produced through the intermarriage of critical literary studies with modern linguistics, so it is of interest to study the speeches of Imam Hussein (peace be upon him)) and his messages to focus on the eloquence, the conditions of its eloquence. It is a fertile field that enables the researcher to monitor the categories of linguistics and procedures in the text.

The speeches of kindness are chosen for the high eloquence and the linguistic fertility and cuddle a state of consistency and harmony, which are important factors of persuasion. The literary arts vary in the Husseinist texts in terms of kindness. For the sermon represents a unified structure that holds together the parts, and such cohesion leads to the realization of the textual fabric and tends to be characterized with the close unity. The concept of a comprehensive structure is evident in the Husseinist and facilitates the task of fathoming the historical background of each text.

فهم طبيعة النص وعلاقته بالخطاب:

لا يكون النص نصاً أدبياً حتى يمتلك مقومات كثيرة تحقق شروطاً مهمة وضعها دارسو الأدب، بل يتجاوزها الى أمور آخر تكمل اتصافه بالأدبية، والنصوص الحسينية في الطّفّ نصوص أدبية تمتلك شروط تحقق ذلك، فهي تستحق دراسة لسانية تسبر أغوارها وتكشف عن مضامينها الخفية التي توارت في النصوص حتى وصلت إلينا، ومقاربة النصوص الأدبية بها حاجة الى تيارات معرفية في دراستها.

إنّ النظر من وجهة نظر لسانية يتجاوز مستوى المفردة وصولاً الى النص، الذي يُعدّ بنية دلالية كبرى، ويؤدّي وظائف متعددة، ويندرج هذا الأمر كله تحت اسم لسانيات النص، وهو منهج لا يقتصر في دراسته على الجملة الواحدة، فيتناولها مدججة في سياقها؛ لأنها قابلة للتحليل مع الاهتمام بالجانبين الدلالي والتداولي فيها.

وما يعنى به الباحث في لسانيات النص هو النص وترابطه وتماسكه وأجزائه المكونة له، ثم وسائل اللغة التي تجعله وحدة قائمة بذاتها تترابط فيما بينها، والنظر الى النص من خلال لسانيات النص سيؤدّي الى دراسة وصفية تحليلية في هيئة تضمن له الترابط والتماسك والنظام، ويستوي في ذلك النص الشري والشعري أو غير ذلك مثل النصوص المهجنة التي ظهرت في الآونة الأخيرة نحو قصيدة النثر أو قصيدة الومضة وغيرها.

وعندما نعالج النصوص مستعنين بلسانيات النص، فإننا بحاجة الى وسائل لغوية تجعل النص قائماً بنفسه، معتمداً على وسائل الربط والتماسك النصي أي الاتساق ثم العلاقات الدلالية، والمعرفة بعالم النص، وفهم طبيعة التماسك النصي لا بدّ من الوقوف على طبيعة النص من جهة الاتساق والانسجام، ثم البعد الدلالي.

ويتجج المنهج اللساني النصي من خلال تزاوج الدراسات الأدبية النقدية مع اللسانيات الحديثة؛ لذا أفدت منه في دراسة خطب الإمام الحسين (عليه السلام) ورسائله،

واضعة اليد على مواضع فصاحتها، وأحوال بلاغتها، والكيفية التي تحقق الترابط والتماسك بين الأجزاء المكونة لذلك النص المتمثل بالخطب والرسائل، وهي نصوص جليلة فصيحة فيها كثير من الثراء اللغوي وتشكل مجالا خصبا يمكن الباحث من أن يرصد مقولات لسانيات النص وإجراءاتها.

واخترت خطب واقعة الطف لفصاحتها العالية، وثرائها اللغوي الذي شكل مجالا خصباً تجسدت فيه المقالات اللسانية من الاتساق والانسجام التي تساعد الباحث في استكشاف النظام اللغوي الذي يعين الباحث في فهم القيم والمبادئ التي حاول الإمام الحسين عليه السلام إرساءها، وعند النظر نظرة سريعة الى تلك الخطب سنلاحظ أنها تمثل خطبة موحدة متممة بتناسك الأجزاء التي تكون كل خطبة، بل إن هذا التماسك يؤدي الى ترابط الخطب كلها بعضها مع بعض كالنسيج المتشابكة خيوطه.

واخترت الخطب؛ لأنها وسيلة مهمة من وسائل الاقناع تصنع صناعة؛ لتصل الى جمهور لا بد له من أن يصدق ما يقال له، بل يوقن به من خلال مقدمات تثبت بالأدلة والبراهين، وعندها تتحرك المشاعر والأحاسيس، فتميل نحو الخطيب تعجبا وقبولا، والخطابة تحسن إذا كانت « مخاطبة الجماهير بطريقة إلقاءية تشمل على الاقناع والاستمالة »⁽¹⁾، وهذا متحقق في النص الحسيني لا سيما الخطبة، فهي موجهة لجمهور معروف، لكن النص الخطابي نصّ موجه عبر الزمان الى متلقين لا حد لهم ولا حصر، في حين وجهت الرسائل لأشخاص معروفين يطلعون عليها عندما يقرؤونها فيقف تأثيرها عند من يقرأها؛ لذا فأنا أجد أن الخطابة تحقق الفعل اللساني بشكل أكبر من الرسائل .

غنى الخطابة ورؤاها الفكرية:

الخطابة فن مهم تتوزع أهميته بين الخطيب والمخاطب، فهي حاجة نفسية تخص الخطيب وهي حاجة اجتماعية تخص المجتمع الذي يعيش فيه ذلك الخطيب، وتعتمد الخطابة على أمرين هما: الموهبة من الله سبحانه وتعالى للملكة مواجهة الناس، ثم الدربة على هذا الفن المهم، والخطابة سلاح قوي من أسلحة الدعوة والتعليم، ووسيلة من وسائل الإقناع بالأمر المهمة كالعقائد الإلهية والقوانين العملية^(٢)، وهي أقسام متنوعة بحسب الموضوعات التي تعالجها، ومنها الخطابة السياسية التي يعالج فيها الخطيب أمور السياسة والقضايا المتعلقة بها.

وهناك الخطابة العسكرية وفيها يحرص الخطيب الجمهور على القتال، ويهون الموت ويدعو إلى التضحية في سبيل القضية، وتعتمد على إثارة الحماسة، وذكر حقارة الدنيا وفنائها، وعادة يميل الخطيب فيها إلى الإيجاز، وسرعة إيصال المعلومة بإيجاز من غير إطراب، والخطابة الدينية التي يشرح الخطيب فيها فكرة ما عن الدين، وتعنى بمطالب الناس ومشاعرهم وقيمهم، والخطابة القضائية التي يفصل فيها الخطيب بين المتخاصمين لحل القضايا التي تكون بينهم، نصره للحق ودحضا للباطل وإعلاء لكلمة العدالة، ثم هناك خطبة يوم الجمعة والعيدين، وخطب الصلح والحمالة ويوم الحفل والسماطين والتأبين والمواسم^(٣)، وكلها أنواع استعملها العرب منها ما يزال مستعملا حتى يومنا هذا، ومنها ما قل استعماله بحسب تغير الظروف التي تعاقبت على المجتمع العربي.

ومن خلال قراءة متأنية لخطب الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف، سنجدها تحت مسمى الخطابة العسكرية المتسمة بالحماسة ثم الخطابة الدينية المتسمة بالوعظ والإرشاد، وغالبا ما كانت هذه الخطب تمتاز بمحسنات الخطابة سواء ما تعلق منها

بالألفاظ التي يعنى بها صاحبها بجزالة ألفاظها، وبعدها عن الركاقة والابتذال، وتوظيفها في الاستعارات والتشبيهات والمجازات وغيرها من الفنون البلاغية. واخترت النظر الى خطب الإمام الحسين عليه السلام في ضوء لسانيات النص والتحول من لسانيات الجملة الى لسانيات النص، وهو تحول منهجي في أدواته وإجراءاته وأهدافه، بل بمضامينه، ويعد ربطا بالكلمات والجمل وفقرات النصوص على مستويات عدة، ومن هنا تغيرت المقولات المعرفية والأدوات الإجرائية^(٤).

اللسانيات واستعمالها في الكلام:

واهتم العلماء بعلم لسانيات النص فعرفوه أنه « نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة، تمتد قدرتها الشخصية الى ما وراء الجملة، بالإضافة الى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدريجي، يبدأ من علاقات ما بين الجمل، ثم الفقرة ثم النص أو الخطاب بتمامه^(٥). والنص الذي يدرس بالاستعانة بهذا الفرع المعرفي قد يكون منطوقا، أو مكتوبا، ويدرس فيها الترابط ووسائله واحالاته المرجعية، وأنواعها ثم سياق النص ودور المشاركين في إنتاجه، ويعتمد هذا التحول على دراسة البنية؛ لأنها وحدة لغوية مغلقة، والجملة وحدة أساسية في التحليل اللغوي الى اعتماد النص بأنواعه المختلفة على أنه وحدة محورية مهتمين في ذلك بالوظيفة التواصلية التي تسهم في إيجاد الاتصال بين أفراد المجموعة اللغوية^(٦).

وبناء على ما سبق تحددت مستويات ثلاثة لدراسة النص هي:

- مستوى نحوي يعتمد قواعد النحو وقوانينه.
- مستوى دلالي يعتمد على المعاني المعجمية وطريقة دراستها واستعمالها في النص.
- مستوى تداولي يعتمد جملة من الأمور التي تساعدنا في تحديد البنى النصية،

وهي تعين في تحديد طرائق التماسك في وحدات لسانية مهمة^(٧). وهذا ما استعنت به في دراسة النصوص الحسينية.

ولا بد من وضع أساس معرفي ننطلق منه يتمثل في أن اللسانيات تتابع النشاط الانساني؛ لأنه جوهر اللغة الطبيعية التي تكون واضحة عند المتلقي في إطار تواصلية مزدوج، وأدى علم لسانيات النص الى الخروج من قيود نحو الجملة ومجال دراستها الضيق والاتجاه الى النحو المهتم بدراسة اللغة في ذاتها وإقصاء المعنى والدلالة والسياق، مما أدى الى جعل اللغة هيكلًا شكليًا منطقيًا مجردًا^(٨)، وتعيد اللسانيات بناء النص وتأسيسه على أساس جديد هو أن النص يعد وحدة التواصل - بين المتكلمين - التي تتصف بالطبيعية، والنص هو كل فعل تواصلية لغوي كتابي، أو شفوي^(٩)، والاهتمام بشكل أوسع من الكلمة أو الجملة فالاهتمام يكون بالنص أو الخطاب، وهذا يعني الانتقال بالبحث في اللغة من مستويات الجملة الى دراسة ظواهر اللغة التي تتجسد تجسدًا كبيرًا في النصوص^(١٠).

اهتم النظام في لسانيات النص بالجانب الدلالي، والمعنى اهتماما كبيرا فهما لا يوصفان بشكل صحيح الا في مجال (نحو النص)، ولا يمكن النظر الى تحليل الكلام من خلال الجملة فقط، مما يؤدي الى انتزاع الظواهر من سياقها؛ لذا كان لزاما على الباحثين دراسة تلك الظواهر لفهم السلوك الانساني وتفسيره من خلال نص مرتبط بسياق تواصلية متكامل، يصف النحو علاقاته التي تتحقق نصية أي نص يمكن أن تختاره للدراسة، يتصف بأنه حدث تواصلية مركب ذو بنية تكتفي بنفسها تكشف وتفصح، وتؤثر من خلال إحكام نسيج النص، والصلات المتحققة بين ظاهر النص وباطنه.

وتمكن المتلقي من لسانيات النص تجعله قادرا على إنتاج النصوص الجديدة من

النص الأول المقروء بالاعتماد على التحليل اللغوي الذي يحدد أنماط النصوص، فمنها « إخباري وما هو علمي، وما هو قصيدة وغير ذلك مما يبدو معقولا »^(١١)، وعلم النصوص هو الذي يفرق بينها شارحا خصائص كل واحد منها معتمدا على علوم شتى، معلم لسانيات النص يفيد من اللسانيات العامة والبلاغة، وتحليل الخطاب والدرس الأسلوبي وعلم النفس وعلم الاجتماع، بل حتى العلوم التي يظن بعدها عنه كعلم الحاسوب، وما يجمع هذه العلوم تحت قبة واحدة هو أن في كل واحد منها جانبا يجتذبه علم لسانيات النص إليه، فمن البلاغة يستعير إنتاج النصوص الخلاق، وقصد التأثير في المتلقي، واقناعه، وجذب انتباهه من خلال توفير الوسائل التي تساعد المبدع في استمالة المتلقين.

والأمر المذكور أنفا متأت من قدرة البلاغة على تكوين نموذج جديد لإنتاج النص أو الخطاب مهما كان مداه، وهذا التداخل مع العلوم الأخرى أدى الى اتساع لسانيات النص عندما ضم « تلك القواعد والنماذج والاستراتيجيات المتاحة، وتجاوزها الى إمكانات أخرى، توفرت له من خلال الامتداد المعرفي واتساع الأفق والتداخل التصوري، ومكنته نظرتة الشمولية من تخطي الامتداد الأفقي الى أبعاد دلالية وإشارية وإحالية، وإيحائية تستعصي على النظر المحدود، بل استعانت بما يدور فيها وراء اللغة في التحليل والتفسير، حيث وضع في الاعتبار مستويات القراءة وأحوالهم النفسية والاجتماعية وتعدد القراءة وأشكال التواصل، ودرجات الفهم والاستيعاب، وطرق التذكر والاستعادة، وإمكانات التأليف، وكيفيات الترابط الذهني، وغير ذلك من أدوات وإجراءات وعمليات لم يتح لعلم من قبل أن ينظم بينها ويفيد منها، كما أتيح لعلم لغة النص»^(١٢)، الذي جعل النص وحدته الأكبر التي عمل على تحليلها على أساس أنها مؤلفة من مجموعة من الجمل ويشتمل على

المستوى الدلالي والأفعال الكلامية، ويدعم هذا أن عملية التواصل لا تكون بالكلمات المفردة، أو بالجمل المركبة، أو بالعبارات المعزولة، وإنما تحصل بالنصوص بشكلها الكامل وهي مادة التحليل اللغوي المشتركة بين العلوم المختلفة.

مصطلح النصّ وأهميته:

يتكون النصّ من العلاقات اللغوية التي تتكون من سلسلة من الجمل المتتابعة المرتبطة بنيويا وداليا من الالتفات الى التنظيم وبراعة الصناعة^(١٣)، وبهذا فالنصّ « نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض بخيوط تجمع أجزاء المتبينة في كلّ موحد »^(١٤)، ومع النظر الى الجانب الدلالي في النصّ، وشبكة العلاقات التي تحدده وممارساته السيميولوجية التي تكونها اللغة سيكون النصّ « عملية إنتاجية علاقته باللغة التي يتموقع فيها هي علاقة إعادة التوزيع من طريق التفكيك وإعادة البناء »^(١٥)، أي عملية تبادلية مع نصوص أخرى من خلال عملية التناص التي يمكنها إنتاج نص متكامل يتحد في علاقات يحددها الكلام الفردي الذي يعبر فيه الشخص عما يريد إيصاله الى الآخرين من خلال مجموعة من السمات التي تميز نصه من غيره، فيكون النصّ مرة قصة أو مقطوعة شعرية، أو مسرحية، أو خطبة وغيرها فيحقق المبدع فيها يقول وظيفة ثقافية محددة غير قابلة للتجزئة، وعلى المتلقي معرفة النوع الذي يراه أمامه استنادا الى سماته الخاصة، وإذا اختلطت السمات أو تناقلت النصوص فيما بينها، كان النتاج دلالات جديدة ومختلفة، ويكون النصّ مترابا وذا نظم فرعية مركبة مؤديا الى تكون مجموعة من العناصر التي يمكن إرجاعها الى بنية ذلك النصّ الداخلية التي تبرز على أنها حدود واضحة لنظم فرعية، وكل هذا ضمن بنية تتسم بالنظام الداخلي الذي يجعلنا نقف أمام مستوى تراكمي أفقي في كيان بنيوي واحد لازم للنصّ وتلك البنية أساس تكوين النصّ^(١٦).

وهذا الأمر يدور في الفلك نفسه الذي حدده رولان بارت لمعنى النص عندما رأى ضرورة اتصاله بمؤلفه ومتلقيه، والنص عنده مجموعة من النصوص المقتبسة من نصوص أخرى مشتركة مع بعض مشكلة نصا منسجما، وهذا النص يفتح على دلالات تحدها خلفيات القراء الثقافية وتجاربهم الحياتية المختلفة^(١٧)، وعندها يحقق النص الغاية المرجوة منه.

ويرتبط بالنص مصطلح النصية الذي يفهم على أنه « حدث تواصل يُلزم لكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تحلف واحد من هذه المعايير »^(١٨)، هذه المعايير تتمثل في الاتساق الذي يتحقق في وسائل الترابط بين عناصر النصوص الشكلية التي تحتم أن يؤدي السابق الى اللاحق، ويتعلق به، وبهذا تستمر النصوص ظاهريا، ثم الانسجام الذي يحقق استمرارية بنية النصوص العميقة، ثم القصديّة التي تتحقق في موقف المبدع الذي يشكل لغته كيفما يشاء، ثم المقبولية عندما يستحسن قارئ النص ما يقرأ ويعيد إنتاجه على وفق فهمه الخاص؛ مما يشكل عملية إبداعية ثانية تلي العملية الإبداعية الأولى التي قام بها المبدع الأول، ثم الموقفية التي تشتمل على العوامل التي تجعل نصا معيناً مرتبطاً بموقف معين مسترجع، ثم التناص الذي يشير الى العلاقات بين النصوص السابقة واللاحقة المتشابهة في التجربة الحياتية نفسها، وأخيرا الاعلامية التي ترتبط بمدى توقع المتلقي لمعلومات النص، فقد يرفضه إذا لم يمتلك معلومات سابقة الوجود في مخزونه الثقافي^(١٩).

وعند النظر الى الثنائية التي قال بها دي سوسير أي ثنائية اللغة/ الكلام، سنجد إنتاج مصطلح الخطاب الذي يشير الى الرسالة اللغوية التي ترسل الى المتلقي الذي يفك الرموز التي أرسلها له المبدع عندما يقرأها المتلقي، والتحليل اللساني تجاوز العمل على الجملة الى العمل على الخطاب الذي هو « كل تلفظ يفترض متكلمها

ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما^(٢٠). فالخطاب يتلون في جمل تتابع بنيتها اللغوية تخضع لنسق معين ونظام محدد من التأليف، وهذه الجمل تكوّن تراكيب مكتوبة، أو منطوقة التي تمثل سلسلة مؤثرة، والنظر الى لسانيات الخطاب نظرة كلية دلالية تكوّن الجمل أجزاء من الملفوظ، أو المتلفظ به ويتعامل مع اللغة على أساس أنها أداة للتبليغ والتواصل^(٢١)، والتبليغ والتواصل يتحققان في الخطابة والرسائل، بشكل يجذب انتباه المتلقي.

الانسجام النصي ووسائل تحقيقه في النصّ الأدبي:

حاولت في بحثي النظر الى الوسائل التي تحقق الانسجام من خلال البحث في مستويات أعلى من التحليل مثل المستوى الدلالي، والانسجام يتحقق في بنية النص الباطنة، والنص ليس تتابعا قوليا بشكل اعتباطي في اختيار الكلمات والعبارات فقط، بل هيكل النص يكون مترابطا متماسكا، بنيته واحدة فيها دلالة كلية شاملة، النص منظومة قولية، تضمها شبكة من العلاقات الداخلية التي توجد الانسجام وتعزز حضوره من خلال تماسك عناصره، الأمر الذي يجعله " يتألف من عدد من العناصر التي تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمنية، والروابط الإحالية في تحقيقها"^(٢٢) فيغدو النص تتابعا مقصودا للكلمات، ورسفا مدروسا لمجموعة من الكلمات والعبارات.

ويتحقق الانسجام من خلال العلاقات الدلالية الموجودة بين أجزاء النص، فهي مفاصل مهمة تعزز المعنى وتجليه واضحا أمام المتلقي، وهي « حلقات الاتصال بين المفاهيم، وتحمل كل حلقة اتصال نوعا من التعيين للمفهوم الذي ترتبط به بأن تحمل عليه وصفا أو حكما، أو تحدد له هيئة أو شكلا، وقد تتجلى في شكل روابط

لغوية واضحة في ظاهر النص، كما تكون أحيانا علاقات ضمنية يضيفها المتلقي على النص، وبها يستطيع أن يوجد له مغزى بطريق الاستنباط، وهنا يكون النص موضوعا لاختلاف التأويل « (٢٣) »، وبهذا تعمل العلاقات الدلالية على جمع أطراف النص وتربط جملة المتابعة بعضها ببعض من غير ظهور وسائل شكلية في ظاهر ذلك النص، كل هذا كون بنية ذات وحدة دلالية شاملة متحققة بالعلاقات التركيبية الكائنة بين جملة وتعبيراته مولدا حبكة مفهوما متجانسا هدفه الايصال والافهام.

علاقات الانسجام وآليات الوقوف على دلالاته:

ولما كانت العلاقات الدلالية تمثل حلقات الاتصال بين المفاهيم وكل حلقة فيها نوع من تعيين مفهوم ترتبط به، والعلاقات الدلالية بين البنيات النووية (٢٤)؛ لذا سأختار في دراسة النصوص الحسينية للإمام الحسين (عليه السلام) في واقعة الطف على وفق تصنيف (نايدا) للعلاقات الذي صنفه الى ثلاثة أقسام هي: الرابطة والتبعية والوصف، وفي كل صنف أقسام مختلفة، وسأعرضها بشكل مفصل، وتشتمل على:

- العلاقة الإضافية المتكافئة التابعة للأقسام الثلاثة المذكورة آنفا، وسأبدأ بها أولا، وهي لا يقتصر وجودها في الخطب حسب، بل توجد في الرسائل كذلك، وعادة تكون في الرسائل أكثر صعوبة في التحديد؛ لذا أجدها أكثر أهمية في الدرس والبحث وهذا ما نجده في رسالته (عليه السلام) عندما كتب رسالة رادا فيها على رسائل الناس التي جاءت طالبه منه أن يتولى أمرهم قال (عليه السلام): « بسم الله الرحمن الرحيم من حسين بن عليّ الى الملاء من المؤمنين؛ أما بعد: فإن هانئا وسعيدا قدما عليّ بكتبتكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم: إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق. وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم

وأمركم ورأيكم، فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي مَلَيْتكم وذوي الفضل، والحجج منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله؛ فلعمري ما الإمام الا العامل بالكتاب، والأخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله، والسلام»^(٢٥)، قال الحسين عليه السلام، (وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جُلِّكم)، (إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق). فالعلاقة الدلالية بين هذين التعبيرين اللذين وردا في قول الحسين عليه السلام هي علاقة تكافؤ وتعادل؛ لأنهما يقول فيهما شيئا واحدا، ولكن في أشكال سطحية لغوية مختلفة، فالمحتوى ثابت غير أن التعبير متغير، ونجد الأمر نفسه يتكرر في قوله عليه السلام: (ما الإمام الا العامل بالكتاب، والأخذ بالقسط، والدائن بالحق)، أي (الحابس نفسه على ذات الله)، فالتعبيران متكافئان في المعنى والمضمون، غير أنهما مختلفان في التعبير.

- العلاقة الدلالية التي استندت الى (الاجمال والتفصيل): ونجدها في خطبته التي خطب فيها أصحابه وأصحاب الحزب بالبيضة، فقد حمد عليه السلام الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من رأى سلطانا جائرا مستحلا حُرْم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يُدخله مُدخَله»، ألا وإن هؤلاء قد لزمو طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالنفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيري، قد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن عليّ، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، نفسي من أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلکم في أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم

بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغتر بكم، فحفظكم
أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» (٢٦).

هذه العلاقة الموجودة في النص علاقة مهمة تسهم إسهامًا كبيرًا في تحقيق النصية
عندما يبدأ المتكلم بذكر قضية مجملة في بداية النص، ثم تعرض الأمور المفصلة لها،
وهذه الأمور تكون محملة بقضايا مفصلة تحمل دلالات مكثفة، ومعاني متتابعة تساعد
المتلقي في أن يدرك ما يقال له، فقد قال (عليه السلام): من رأى سلطانًا جائرًا وهذا السلطان
متصف بجملته صفات متعلقة متكافئة متعادلة، لكن الغريب في الأمر أن بعضها
يكمل بعضها، ونرى هذا السلطان (مستحلاً لحرم الله)، ونراه (ناكثاً لعهد الله)، ونراه
كذلك (مخالفاً لسنة رسول الله)، و(يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان)، وتأتي العلاقة
التبادلية المتباينة مع ما قيل في: (كان حقاً على الله أن يدخله مُدْخَله)، لتوقف ذهن
المتلقي أمام خيارين لا ثالث لهما، إما أن يكون الإنسان مع الحق أو أن يختار الباطل.

- ثم هناك العلاقة الإضافية المختلفة فهي أكثر تعقيداً، فقد تتضمن بنيات متوازية
سواء لمشارك واحد أو لمشاركين مختلفين مثل ما كتبه الإمام الحسين (عليه السلام): «أما بعد،
فإن الله اصطفى محمداً ﷺ على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله
إليه وقد نصح لعباده، وبلغ ما أرسل به ﷺ، وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته
وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة،
وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق لمستحق علينا ممن تولاه، وقد
أحسنوا وأصلحوا، وتحروا الحق، فرحمهم الله، وغفر لنا ولهم، وقد بعثتُ رسولي
اليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فإن السنة قد أميتت،
وإن البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد،

والسلام عليكم ورحمة الله «^(٢٧). فقوله عليه السلام: فإن الله اصطفى محمدا عليه السلام على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده، وبلغ ما أرسل به عليه السلام، وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته وأحقَّ الناس بمقامه في الناس، فنجد بنيات متوازية يشترك فيها متشاركان الأول الرسول محمد عليه السلام. أما الثاني فهو الإمام الحسين عليه السلام ويبرز ذلك في قوله عليه السلام: فرَضِينَا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحقُّ بذلك الحقِّ لمستحقِّ علينا ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا، وتحروا الحقَّ، فرحمهم الله، والمشاركان ليسا شخصية واحدة، لكنهما يسيران في اتجاه واحد، وربط الإمام الحسين عليه السلام بين قضيتين إحداهما كانت سببا في حدوث الأخرى، فالاصطفاء سبب التكريم والتكريم كان سببا في الاختيار والرسالة، النصح كان سببا في القبض، بعد حدوث النصح وهذا الترابط المفهومي أقام النتيجة على ما سببها وأحدثها، من خلال الثنائيات المذكورة من غير اخلال بالمعنى الذي تكون لدى إيجاد الرابطة بين الكلمات المنتجة للعبارات.

- وهناك علاقة الشرط بالجواب: وفيها دلالة مختلفة عن السابقة عليها تسهم في بناء النص الا أنها لا تحدده بشكل أساس، ويشعرنا بوجود هذه العلاقة أدوات الشرط المتنوعة التي تربط جملة الشرط بجملة الجواب، مكونة سلسلة جمالية دلالية، تعد وسيلة وظيفية تعين المتلقي على ادراك فصاحة المتكلم، فثمة أفعال أو أنشطة متوازية، تصدر عن شخص واحد، مثل عندما أقبل الإمام الحسين عليه السلام ومّر بالتنعيم فلقي بها عيرا قد أقبل من اليمن، وعلى العير الورس والحلل ينطلق بها الى يزيد فأخذها الإمام الحسين عليه السلام « فانطلق بها، ثم قال لأصحاب الإبل: لا أكرهكم، من أحب أن يمضي معنا الى العراق أو فينا كراءه وأحسننا صحبتته، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض، قال: فمن فرقه منهم

حوسب فأوفى حقّه، ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه»^(٢٨)، فنحن لا نجد فعلا الا للإمام الحسين (عليه السلام) يتمثل في حالين أقر في الأولى الموافقة والصحبة، وأقر في الثانية الفراق والابتعاد غير أن السامع لكلامه المدرك لأبعاده سيجد أنه اختار ألفاظا في الثانية أكثر رقة وتطمينا (أحب)، (أعطيناه)، ونجد مصداق ذلك فيما قيل بعده من الراوي معللا ما حدث، قال: (أعطاه كراءه وكساه)، والوقوف عند هذه الاختيارات اللفظية المتأنية، المرسومة في ذهن المتكلم بشكل دقيق يحتاج الى معرفة وتدبر في هذه النصوص ومعانيها الجليلة .

وقد تصدر عن شخصين مختلفين ومن ذلك عندما وافق الفرزدق الإمام الحسين (عليه السلام) فقال له: « أعطاك الله سؤلك وأملكك فيما تحب، فقال له الحسين: بين لنا نبأ الناس خلفك، فقال له الفرزدق: من الخبير سألت، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء، فقال له الإمام الحسين (عليه السلام): صدقت، لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا في شأن: إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يعتد من كان الحق نيته، والتقوى سريرته، ثم حرّك الإمام الحسين (عليه السلام) راحلته فقال: السلام عليك، ثم افترقا»^(٢٩)، على الرغم من أن النص المذكور آنفا ليس خطبة ولا رسالة، لكن مضمونه مهم فيما أريد قوله، فالنص الحسيني مقسوم بين متحاورين أحدهما الإمام الحسين (عليه السلام) والآخر الفرزدق الذي يعي مرتبته المتدنية عن مرتبة الإمام الحسين (عليه السلام) السامية، لذا جعل ل نفسه قائلا: (من الخبير سألت)، والجواب على ما سأل هو في أمرين متعاكسين هما: (قلوب الناس معك)، و (سيوفهم مع بني أمية)، والفيصل بين ما قيل ويقال هو: (والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء)، والأمران حاصلان معا في الوقت نفسه ونجد الفصل المستعمل هو الفعل

المضارع يتغير فيما بعد الزمان الى الفعل الماضي الذي يعني الثبات والبقاء، قال عليه السلام:
(إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن
حال القضاء دون الرجاء، فلم يعتد من كان الحق نيته، والتقوى سريرته)، ويعود
النص مرة ثانية ليصبح مقسوما على اثنين في عبارة (ثم افترقا).

ومثل ما سبق في الأهمية ما قد ذكر من حوار بين الإمام الحسين عليه السلام وابن الزبير،
فقد تتضمن بنيات معكوسة عندما يصبح العنصر الذي لم يكن موضع تركيز في التعبير
الأول، يغدو في موضع التركيز في الموضع الثاني: قال ابن الزبير للإمام الحسين عليه السلام "إن
شئت أن تقيم أقيم فوليت هذا الأمر، فأزرناك وساعدناك، ونصحنا لك وبايعناك،
فقال له الحسين: إن أبي حدثني أن بها كبشا يستحل حرمة، فما أحب أن أكون ذلك
الكبش، فقال له ابن الزبير: فأقم إن شئت وتوليني أنا الأمر فتطاع ولا تُعص، فقال:
وما أريد هذا أيضا «^(٣٠)»، هو دخل فجأة على البهائم، وواحدة منها دفعته، فقد كان
التركيز في التعبير الأول على الشخص (هو) بينما التركيز في التعبير الثاني على (البهائم).

- وعلاقة الإضافة المختلفة تدخل فيما يعرف بالوصل الذي يستعمل أدوات
معينة هي أدوات الربط مثلا: يضاف الى ذلك، أيضا، وهي مفاتيح ظاهرة تظهر
العلاقة الدلالية على سطح النص مثال ذلك قول الإمام الحسين عليه السلام عندما «خطب
أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن
رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى جائرا مستحلا حُرِّم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة
رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان
حقا على الله أن يدخله مُدخَله، الا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا
طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء. وأحلوا حرام
الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غير، قد اتنتي كتبكم، وقد قدمت عليّ رسلكم

بيعتكم، أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تمتم علي بيعتكم تصبوا رشدكم، فأنا الحسين بن عليّ، وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، نفسي من أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلکم في أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغترّبكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبيكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيُغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» (٣١).

ويمكن استخلاص المعلومات المهمة من الخطبة المذكورة آنفاً من خلال الوقوف على ما علق بذهن المتلقي بعد سماعه للنص الخطابي المذكور، فطبيعة فهم النص تتعلق بتعالقه مع العالم الخارجي، والربط بينهما ونجد النتيجة كلها مجموعة في قوله (عليه السلام): (الا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء. وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله).

- أما العلاقات الثنائية فتضم درجة من التفاعل المتبادل أو التداخل، فالعلاقة الإبدالية تربط بين طرفين أو موقفين أو حدثين، أحدهما بديل للآخر (٣٢) مثل قول الإمام الحسين (عليه السلام) عندما قام بذي حُسم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ تَرَوْنَ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ، وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا وَاسْتَمَرَّتْ جَدًّا، فَلَمْ يَبْقَ مَنُهَا إِلَّا صَبَابَةٌ كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ، وَخَسِيسَ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَيْبِلِ، إِلَّا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُتْنَاهَى عَنْهُ ! ليرغب المؤمن من لقاء الله محققاً، فإني لا أرى الموت إلا شهادةً، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً" (٣٣)، تبدو العلاقات الثنائية في قول الحسين (عليه السلام) (إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ تَرَوْنَ)، فالحال الأولى التي تحققت على أرض الواقع وقد سُرحت في القول بعدها بمجموعة متتالية من العبارات هي: (وإنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ، وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا وَاسْتَمَرَّتْ

جدًّا، فلم يبقَ مَنُها الا صَبَابَةٌ كَصَبَابَةِ الإِنَاءِ، وَخَسِيسِ عَيْشِ كالمِرْعَى الوَبِيلِ، الا تَرَوْنَ أَنَّ الحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ البَاطِلَ لَا يُتَنَاهَى عَنْهُ!)، وهنا يظهر التفاعل المتبادل والمتداخل في قوله عليه السلام: (ليرغب المؤمن من لقاء الله محققا، فإني لا أرى الموت الا شهادةً، ولا الحياة مع الظالمينَ لا برَما). فما يساوي هذا الحال ويظهره على حقيقته المؤلمة هو الموت، لكن الموت هنا يساوي الشهادة التي لا تعني الفناء والاندثار، وإنما تعني حياة جديدة نقية يدخلها المؤمن وهو يعرف أن لا نكد أو ظلم أو تعب أو نصب فيها، ولا خوف من الموت أو شظف العيش، فكل شيء مكفول وموجود.

- أما العلاقات التقابلية، فهي تربط بين طرفين أو موقفين أو حدثين متقابلين، وتتميز هذه العلاقات باستعمال تعبيرات رابطة مثل: لكن، ومع أن، ومع ذلك، وعلى النقيض من ذلك. ويدخل في هذه العلاقة ما يعرف بـ (الرابط المنعكس أي الرابط بين أشياء تبدو متضاربة) ^(٣٤)، من ذلك ما قاله الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام: فدنوت منه لأسمع وأنا مريض، فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه: «أثنى على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعا وأبصارا وأئدة، ولم تجعلنا من المشركين، أما بعد: فإني لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعا خيرا، ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا، ألا وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعا في حل، ليس عليكم مني ذمام، هذا ليلٌ قد غشيتكم، فاتخذوه جملا ^(٣٥).

جاء الكلام مقررًا في قول الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام: (فدنوت منه لأسمع وأنا مريض، فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه)، ومضمون هذا التقرير الثناء أولا على الله سبحانه وتعالى في قوله (أثنى على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء)، وفيه شرح

سبب الشاء المتمثل في البركة والتعالى وهما خاصان بالله سبحانه وتعالى، ثم حمده جلّ في علاه في قوله (وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين)، وفيه تفصيل تقريرى لسبب الحمد من: الرضا والقبول بقضاء الله وقدره، الاكرام بأعلى منزلة ينزلها البشر أي النبوة، تعليم القرآن، التفقه في الدين، أي العلوم الالهية التي أغدقها على آل البيت (عليهم السلام)، ثم ذكر الحواس وهذا الذكر المقترن بهذه المنن الربانية العظيمة ليس ذكراً مجرداً، وإنما للأسماع دور هو الانصات والتفكر، والابصار هو التعمق والادراك، وذكر الأفئدة للعلم الالهي الذي يجعل من يحمله مدكراً لما يعن في نفوس من يجاهر بعدواته حاملاً سلاحه، وهنا يأتي الدليل على ما قيل مجموعاً في العبارات المتسلسلة المترابطة من خلال قوله (عليهم السلام): (ولم تجعلنا من المشركين)، فهو إعلان بصفة من لا يدرك حقيقة خروج الإمام الحسين (عليه السلام) وتكبده عناء السفر والقتال.

- وأما العلاقات المقارنة: فيها مقارنة بين طرفين أو حدثين أو موقفين، وأدواته: أفضل من، الكاف، مثل: ما ورد أنه: كان مع الإمام الحسين (عليه السلام) فرس له يدعى لاحقاً حمل عليه ابنه الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام)، قال: فلما دنا منه القوم عاد براحلته فركبها، ثم نادى بأعلى صوته دعاء يسمع جُلّ الناس «أيها الناس؛ اسمعوا قولي»، ولا تعجلوني حتى أعظكم بما لحق لكم عليّ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري، وصدّقتم قولي وأعطيتموني النصف، كتتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر، ولم تُعطوا النصف من أنفسكم (فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم أفضوا إلى ولا تُنظروا) (٣٦)، (إنّ وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين) (٣٧) (٣٨). وتحققت العلاقة في قوله

عليه السلام: كنتم بذلك أسعد التي حققت المقارنة بطريقة الادماج التي يستدل عليها عقليا، فما ظهر من قضية جديدة، لم تكن وليدة الفراغ بل ارتبطت ارتباطا منطقيا بما سبقها من أمور، والسعادة تتحقق بالخروج مع الإمام الحسين عليه السلام، بغض النظر عن النتيجة، بالنصر والفوز بالدنيا، فهذا أمر فيه صلاح البلاد والعباد، ولو تحققت الشهادة ففيها سعادة أيضا في نيل الجنة ونعيمها، والتنعم برفقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الفردوس الأعلى.

وأما العلاقات المؤهلة أو علاقات المحتوى فهي تشتمل على ما يمكن تصنيفه بمكملات الخبر مثل: قول الإمام الحسين عليه السلام: «أما بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا الى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا، هل يجلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسنتُ ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عنده! أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أو ليس جعفر الشهيد ذو الجناحين عمي؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إن رسول الله قال لي ولأخي: (هذان سيّدا شباب أهل الجنة! فإن صدقتموني بما أقول - وهو الحق - فوالله ما عمدت كذبا مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويضر به من اختلقه، وإن كذبتُموني فإن فيكم من إن سألتُموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، أو أبا سعيد الخُدري، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك، يخبروكم: أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لي ولأخي، أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟» (٣٩).

وتتمثل مكملات الخبر بربط النص بخارجه ليدرك السامع المطلوب منه، وأولها النسبة في قوله عليه السلام: (فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا الى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا). وهذا أهل لما بعده حرمة القتل في قوله عليه السلام: (هل يجلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟)، ثم تكررت هذه العملية مرة ثانية لثبوت مقام العناد عند السامعين، فقال

ﷺ مؤهلاً ومقدماً لما سيقول: (ألسْتُ ابن بنت نبيكم ﷺ وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء به من عنده! أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أو ليس جعفر الشهيد ذو الجناحين عمي؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إنّ رسول الله قال لي ولأخي: (هذان سيّدا شباب أهل الجنة!)، وأهل السامع مرة أخرى بقوله ﷺ: (فإن صدّقتُموني بما أقول - وهو الحقّ - فوالله ما تعمدت كذباً مذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضر به من اختلقه)، ولما كان المقام مؤهلاً للتصديق والقبول فقد ذكر الإمام الحسين ﷺ الجانب الآخر أي التّكذيب الذي يترتب عليه أمر وقوع الحرب، فأراد أن يجعل الحجّة عليهم فقال: (وإن كذبتُموني فإنّ فيكم من إن سألتُموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، أو أبا سعيد الخُدري، أو سهل بن سعد الساعديّ، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك، يخبروكم: أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ، لي ولأخي)، غير أننا عندما نصل الى نهاية النص وخاتمته ندرك أنّ الإمام الحسين ﷺ قد أهل من الجملة الأولى ليصل السامع في إدراكه الى الجملة الأخيرة، ففيها تكرار للجملة الأولى، وإيجاز لمضمون الكلام كله عندما قال ﷺ: (أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمّي؟)

- أما العلاقات المنطقية، فإنها قد صنفت في طرائق عدة مختلفة من المناطقة وعلماء فقه اللغة^(٤٠)، قال الإمام الحسين ﷺ: «فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكون في أنّي ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة، أخبروني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة؟ فأخذوا لا يكلمونه»^(٤١). ويمكن تمثيلها في قوله ﷺ: (فإنّ كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أثراً ما أنّي ابن بنت نبيكم؟) دخل هنا المنطق وسيلة لتحديد الهدف في إفهام السامع المباشر، والسامع غير المباشر (أي من سيتلقى

النص ويسمعه ما دام هناك من يطلع على النصوص الحسينية في واقعة الطف)، فتحقق هنا (الوسيلة - النتيجة).

ويتمثل المنطق في ذكر السبب الذي يؤدي الى نتيجة موضوعة سلفاً في ذهن المتكلم لتكون هدفاً يوصل السامع اليه من ذلك قوله عليه السلام: (فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري منكم ولا من غيركم) فتحقق هنا (السبب - الأثر)، ثم قال عليه السلام: (أنا ابن بنت نبيكم خاصة)، فتحقق هنا (المفترض - النتيجة). ثم قال عليه السلام: (أخبروني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة ؟) فتحقق هنا (الشرط - الجواب) الا أن الجواب كان ضمناً يفهم مما قيل فيما بعد تتمه للخبر أي: (فأخذوا لا يكلمونه) عندما تحقق (السبب - النتيجة)، تلك النتيجة المؤكدة في وقوع واقعة الطف واستشهاد الحسين عليه السلام.

وهذه العلاقات قابلة للتطبيق ويتعدد الأسلوب الذي يعبر به عن علاقة دلالية أو أخرى، وقد تدخل بنية واحدة في أكثر من علاقة مع بنيات عديدة، والأهم قابلية هذه العلاقات للتطبيق على مستويات عديدة من بنية الخطاب: الجمل، الفقرات، وهذا كله راجع الى غنى النص الحسيني وتنوع مضامينه الانسانية المعبر عنها بلغة فصحي صافية تتحدى الزمن بينياتها التراكمية العميقة، ووحداتها الجبل بالمعاني العظيمة الخالدة بخلود صاحبها عليه السلام وعلّة ذكره الى يوم يبعث من في الأرض جميعاً.

نتائج البحث:

- تنوعت الفنون الأدبية والقولية في النصوص الحسينية في واقعة الطف وكان الفنان المهمان اللذان حظيا بالدراسة هما الخطابة والرسائل، ولكن هناك فن رديف ثالث أثر هو الآخر في تكون هيكلية النصوص هو الحوار الذي أسهم في الكشف عن مواضع الإبداع الخفية في النصوص.
- تمثل الخطبة بنية موحدة متماسكة الأجزاء، وهذا التماسك يؤدي الى ادراك حقيقة النسيج النصي الذي تتألف منه تلك الخطب، تنماز بالوحدة الوثيقة التي تربط بين أجزائها ومعاني تراكيبها في موضوع واحد هو احقاق الحق.
- النص الخطابي نص موجه عبر الزمان الى متلقين لا حد لهم ولا حصر، في حين وجهت الرسائل لأشخاص معروفين يطلعون عليها عندما يقرؤونها فيقف تأثيرها عند من يقرأها؛ لذا فأنا أجد أن الخطابة تحقق الفعل اللساني بشكل أكبر من الرسائل على الرغم من أن الأخيرة أدت هي الأخرى ما كان مطلوباً منها.
- إن العلاقات الكبرى التي ظهرت الى السطح بعد البحث اختزلت المعلومات التي أراد يمررها المتكلم الى المتلقي في خطابه، بل حددت الأجزاء المهمة التي يريد أن يقف عليها، موجداً في بنية النص الكبرى إشارات الى خلفيات شاملة، منها المقامية، ومنها النصية، من خلال آليات الربط بين أجزاء النص الواحد، أو تفعيل بنية النص الكبرى، ونتاج مفهوم جديد منبثق من النص القديم.
- تناسقت النصوص الحسينية وتكاملت من خلال وجود علاقات مهمة فيها هي: الإجمال والتفصيل، والمنطقية، والشرط والجواب، والنتيجة والسبب، فكانت هيكلها داخلياً داعماً لبناء محكم متكامل، فالعلاقات ربطت بين أركان النص الحسيني وأجزائه، وبتنوعها وغناها حققت ذلك بشكل كبير.

- ظهر مفهوم البنية الشاملة واضحا من خلال الربط بين العلاقات في النصوص الحسينية وأصولها المقامية التي حدثت فيها، ومما سهل هذه المهمة معرفة الخلفية التاريخية لكل نص.

هوامش البحث:

- (١) الخطابة بين النظرية والتطبيق، محمود محمد عمارة، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط١، ١٩٩٧م: ٦.
- (٢) ينظر م. ن: ١٢.
- (٣) ينظر م. ن: ٢٤٣-٢٤٥.
- (٤) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ٢٠٠٤: ٣٠.
- (٥) اتجاه جديد في الدرس اللغوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة - مصر، ط١، ٢٠٠١م: ٥٦.
- (٦) ينظر مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبه للنشر، الجزائر، بلا. ط، ١٧٩: ٢٠٠٠.
- (٧) نحو النص / نقد النظرية وبناء أخرى، عمر أبو خرمة، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط١، ٢٠٠٦م: ٨١.
- (٨) ينظر علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دار الغريب للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، بلا. ط، بلا. ت: ٦٤.
- (٩) ينظر مدخل الى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م: ٥٩.
- (١٠) ينظر أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، كلية الآداب / جامعة منوبة، تونس، ٢٠٠١ م ٢ / ٨٠.
- (١١) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، بلا. ت، ١٩٩٨ م: ٦٨.
- (١٢) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوندجان، القاهرة - مصر، ط١، ١٩٩٧م: ٢٣.
- (١٣) ينظر نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٣م: ١٧.
- (١٤) م. ن: ١٢.
- (١٥) علم النص، جوليا كريستيفا، تر: فريد الساعي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط٢، ١٩٩٧: ٢١.

- (١٦) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، دار الكتاب المصري / مصر، دار الكتاب اللبناني / لبنان (مشترك)، ط١، ٢٠٠٤م: ٢٧٤-٢٧٥.
- (١٧) ينظر التحليل النصي (تطبيقات على نصوص من التوراة والانجيل)، تر: عبد الكريم الشرفاوي، منشورات الزين، المغرب، بلا. ت، ٢٠٠١م: ١٤.
- (١٨) نحو آجرومية للنص الشعري، قراءة في قصيدة جاهلية، سعد مصلوح، مجلة فصول، مج: ١٠، عد١-٢، يوليو-أغسطس: ١٥٤.
- (١٩) النص والخطاب والإجراء، دي بو جراند، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ط١، ١٩٩٨م: ١٠٣-١٠٥.
- (٢٠) تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٤، ٢٠٠٥م: ١٩.
- (٢١) المرجعية الاجتماعية في تكوين الخطاب الأدبي، محمد خرماش، حوليات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٩٥م: ٨٥.
- (٢٢) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ط١، ٢٠٠٥م: ٧٨.
- (٢٣) نحو آجرومية للنص الشعري سعد مصلوح: ١٥٤.
- (٢٤) ينظر البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٤٢، وما بعدها.
- (٢٤) م. ن: ١٤٣ وما بعدها.
- (٢٥) مقتل الإمام الحسين بن علي، برواية أبي مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الأزدي الكوفي المتوفى (١٥٧هـ)، منشورات الجمل، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٩م: ١٣.
- (٢٦) م. ن: ٦٦.
- (٢٧) م. ن: ١٩.
- (٢٨) م. ن: ٥٥.
- (٢٩) م. ن: ٥٨.
- (٣٠) م. ن: ٥٤.
- (٣١) م. ن: ٦٦.
- (٣٢) ينظر البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٤٧.
- (٣٣) مقتل الإمام الحسين بن علي، برواية أبي مخنف: ٦٦.
- (٣٤) ينظر البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٤٧.

- (٣٥) مقتل الإمام الحسين بن علي، برواية أبي مخنف: ٨٥.
(٣٦) سورة يونس: الآية ٧١.
(٣٧) سورة الأعراف: الآية ١٩٦.
(٣٨) مقتل الإمام الحسين بن علي، برواية أبي مخنف: ٩٣.
(٣٩) مقتل الإمام الحسين بن علي، برواية أبي مخنف: ٩٤.
(٤٠) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٤٧.
(٤١) مقتل الإمام الحسين بن علي، برواية أبي مخنف: ٩٥.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أولاً: الكتب:
- ✦ اتجاه جديد في الدرس اللغوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة - مصر، ط ١، ٢٠٠١م.
- ✦ أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، كلية الآداب / جامعة منوبة، تونس، ٢٠٠١م.
- ✦ البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، بلا. ت، ١٩٩٨م.
- ✦ بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، دار الكتاب المصري / مصر، دار الكتاب اللبناني / لبنان (مشترك)، ط ١، ٢٠٠٤م.
- ✦ تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٤، ٢٠٠٥م.
- ✦ التحليل النصي (تطبيقات على نصوص من التوراة والانجيل)، تر: عبد الكريم الشرفاوي، منشورات الزين، المغرب، بلا. ت، ٢٠٠١م.
- ✦ الخطابة بين النظرية والتطبيق، محمود محمد عمارة، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط ١، ١٩٩٧م: ٦.
- ✦ دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ط ١، ٢٠٠٥م.
- ✦ علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ٢٠٠٤.
- ✦ علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دار الغريب للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، بلا. ط، بلا. ت.
- ✦ علم النص، جوليا كريستيفا، تر: فريد الساعي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط ٢، ١٩٩٧.
- ✦ مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبه للنشر، الجزائر، بلا. ط، ٢٠٠٠.
- ✦ مدخل الى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٨م.
- ✦ المرجعية الاجتماعية في تكوين الخطاب الأدبي، محمد خرماش، حوليات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٩٥م.
- ✦ مقتل الإمام الحسين بن علي، برواية أبي مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الأزدي الكوفي المتوفى (١٥٧هـ)، منشورات الجمل، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٩م.
- ✦ نحو النص / نقد النظرية وبناء أخرى، عمر أبو خرمة، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط ١، ٢٠٠٦م.
- ✦ نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٣م.

* النص والخطاب والإجراء، دي بو جراند،
تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة - مصر،
ط ١، ١٩٩٨ م.

ثانياً: المجالات:

* نحو آجرومية للنص الشعري، قراءة في
قصيدة جاهلية، سعد مصلوح، مجلة فصول،
مج: ١٠، عدد ١-٢، يوليو - أغسطس.